قال رحمه الله تعالى :

[فصل (حجه واعتماره ﷺ) : لم يحج ﷺ بعدما هاجر إلا حجته هذه ، وهي حجة الإسلام وحجة الوداع، وكان فرض الحج في السنة السادسة في قول بعض العلماء ، وفي التاسعة في قول آخرين منهم ، وقيل سنة عشر ، وهو غريب ، وأغرب منه ما حكاه إمام الحرمين في النهاية وجهاً لبعض الأصحاب : أن فرض الحج كان قبل الهجرة . وأما عمره فكن أربعاً : الحديبية التي صد عنها ، وعمرة القضاء بعدها ، ثم عمرة الجعرانة ، ثم عمرته التي مع حجته . وقد حج ﷺ قبل الهجرة مرة ، وقيل : أكثر وهو الأظهر ، لأنه كان ﷺ يخرج ليالي الموسم يدعو الناس إلى الله تعالى ، صلى الله عليه وسلم تسليماً كثيراً دائماً إلى يوم الدين] .

لما أنهى الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى ذكر سيرة النبي عليه الصلاة والسلام بدءاً من مولده عليه الصلاة والسلام إلى وفاته ﷺ سرداً بتلخيص وإيجاز لأخبار حياته ﷺ منذ النشأة ، فالبعثة ، والدعوة إلى الله ، فالهجرة ، فالغزوات ، إلى حجة الوداع ، ثم موته صلوات الله وسلامه عليه ؛ لما أنهى ذلك عقد رحمه الله تعالى في هذا الكتاب المبارك فصلاً عديدة تنوعت في ذكر أعمال النبي عليه الصلاة والسلام وذكر شمائله وذكر فضائله وخصائصه صلوات الله وسلامه عليه إلى أن ختم الكتاب بالشفاعات المختصة بالنبي الكريم ﷺ . بدأ

هنا أولاً بذكر حجّات النبي ﷺ وعُمره ؛ كم حج عليه الصلاة والسلام من مرة ؟ وكم أيضاً اعتمر صلوات الله وسلامه عليه من مرة ؟

قال رحمه الله : ((لم يحج ﷺ بعدما هاجر إلا حجته هذه)) ؛ وقد جاء في الصحيحين من حديث زيد ابن أرقم ((أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَزَا تِسْعَ عَشْرَةَ عَزْوَةً ، وَأَنَّهُ حَجَّ بَعْدَ مَا هَاجَرَ حَجَّةً وَاحِدَةً ، لَمْ يَحُجَّ بَعْدَهَا ؛ حَجَّةَ الْوُدَاعِ)) ؛ فهو صلوات الله وسلامه عليه بعد أن هاجر إلى المدينة لم يحج إلا حجة واحدة كانت في السنة العاشرة من الهجرة .

قال رحمه الله : ((وهي حجة الإسلام وحجة الوداع)) ؛ تسمى حجة الوداع لأن النبي عليه الصلاة والسلام ودّع فيها الناس وقال لهم : ((لعلّي لا ألقاكم بعد عامي هذا)) . وتضمنت كما أشرت سابقاً جملةً من الخطب والوصايا والمواعظ التي هي من الأهمية بمكان لكونها وصايا مودّعة . وأيضاً يُقال لها حجة البلاغ ، فالنبي عليه الصلاة والسلام قال فيها : ((ألا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد)) يكرر ذلك صلوات الله وسلامه عليه .

قال رحمه الله : ((وكان فرض الحج في السنة السادسة في قول بعض العلماء ، وفي التاسعة في قول آخرين منهم ، وقيل سنة عشر وهو غريب ، وأغرب منه ما حكاه إمام الحرمين في النهاية وجهاً لبعض الأصحاب أن فرض الحج كان قبل الهجرة)) ؛ ذكر خلافاً في متى فُرض الحج ، وأقرب ما قيل من أقوال أهل العلم في وقت فرض الحج أنه فُرض في التاسعة أو العاشرة لهجرة النبي ﷺ .

((وأما عمره فكن أربعاً)) اعتمر عليه الصلاة والسلام أربع عُمر :

الأولى : ((الحديبية التي صُد عنها)) ؛ وتم في ذلك المقام ذلك الصلح وكان فتحاً عظيماً نزل على إثره سورة الفتح كاملة وصُدّرت بقوله جل وعلا : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴾ [الفتح: ١] .

الثانية : ((وعمرة القضاء بعدها)) ؛ في العام القابل اعتمر عليه الصلاة والسلام عمرة القضاء .

الثالثة : ((ثم عمرة الجعرانة)) أو الجِعْرَانَة وهي التي كانت بعد عود النبي ﷺ من حصار الطائف كما مرّ معنا ذلك قريباً ، حيث أحرم عليه الصلاة والسلام من الجعرانة .

الرابعة : ((ثم عمرته التي مع حجته)) ؛ وقد مرّ معنا أن الصحيح من أقوال أهل العلم أنه صلوات الله وسلامه عليه حج قارناً ، والقارن يُهل بالحج والعمرة معاً ؛ يقول : "لبيك اللهم حجاً وعمرة " ، ثم إنه يأتي بأعمال المفرد وتكون العمرة داخلة في الحج مقرونة به ، ولهذا ليس هناك فرق بين أعمال المفرد والقارن إلا في النية ؛ فالمفرد ينوي بعمله الحج وحده ، والقارن ينوي بعمله الحج والعمرة معاً فيدخل عمرته في حجته ، ويكون عليه هدي لكونه جمع بين حج وعمرة في سفرة واحدة .

فالنبي عليه الصلاة والسلام اعتمر أربع عمركان آخرهن التي كانت مع حجه صلوات الله وسلامه عليه في السنة العاشرة من الهجرة .

قال : ((وقد حج ﷺ قبل الهجرة مرة ، وقيل أكثر وهو الصحيح)) ؛ حج قبل الهجرة عليه الصلاة والسلام مرات كثيرة .

قال الإمام بن كثير : ((وهو الأظهر)) ، قال معللاً : ((لأنه كان ﷺ يخرج ليالي الموسم - أي موسم الحج - يدعو الناس إلى الله تعالى)) ؛ فالصحيح أنه عليه الصلاة والسلام قبل الهجرة حجّ مرات كثيرة .

يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى في كتابه فتح الباري : " بَلْ الَّذِي لَا أَرْتَابُ فِيهِ أَنَّهُ لَمْ يَتْرُكِ الْحَجَّ وَهُوَ بِمَكَّةَ قَطُّ ، لِأَنَّ قُرَيْشًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ لَمْ يَكُونُوا يَتْرُكُونَ الْحَجَّ ، وَإِنَّمَا يَتَأَخَّرُ مِنْهُمْ عَنْهُ مَنْ لَمْ يَكُنْ بِمَكَّةَ أَوْ عَاقِفُهُ ضَعْفٌ ، وَإِذَا كَانُوا وَهُمْ عَلَى غَيْرِ دِينٍ يَخْرُصُونَ عَلَى إِقَامَةِ الْحَجِّ وَيَزَوِّنُهُ مِنْ مَفَاخِرِهِمُ الَّتِي اِمْتَأَزُوا بِهَا عَلَى غَيْرِهِمْ مِنَ الْعَرَبِ فَكَيْفَ يُظَنَّ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ يَتْرُكُهُ ؟ وَقَدْ ثَبَتَ مِنْ حَدِيثِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ أَنَّهُ رَأَاهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَاقِفًا بِعَرَفَةَ ، وَأَنَّ ذَلِكَ مِنْ تَوْفِيقِ اللَّهِ لَهُ ، وَثَبَتَ دُعَاؤُهُ قَبَائِلَ الْعَرَبِ إِلَى الْإِسْلَامِ بِمَعْنَى ثَلَاثِ سِنِينَ مُتَوَالِيَةً كَمَا بَيَّنَّتهُ فِي الْهَجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ " .

فالشاهد أن الصحيح أن النبي عليه الصلاة والسلام قبل أن يُهاجر حج مرات كثيرة ومرّ معنا بيعة العقبة الأولى والثانية في سنوات ، هذه كلها كانت في الحج ، وهو الأظهر أنه عليه الصلاة والسلام في تلك السنوات حاجاً يشهد المناسك ويؤدي أعمال الحج وفي الوقت نفسه يدعو إلى الله ﷻ ، وهذا أيضاً فيه أن الحج باب عظيم للدعوة إلى الله وهو داخل في قول ربنا جل شأنه : ﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَا تَوَكَّرِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ

مِنْ كُلِّ فَيْحٍ عَمِيقٍ (٢٧) لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ ﴿ [الحج: ٢٧-٢٨] فمن أعظم المنافع التي تُشهد في حج بيت الله الحرام تعلم الدين ونشره في الآفاق والدعوة إلى الله ﷻ ، وكم من خير انتشر ودعوة عمّ نفعها وصلاح تمّ وتحقق في أثناء مناسك الحج وأداء هذه الطاعة العظيمة .

قال رحمه الله تعالى :

[فصل : أما غزواته ، فروى مسلم من حديث عبد الله بن بريدة بن الحصيب الأسلمي عن أبيه قال : غزا رسول الله ﷺ تسع عشرة غزوة قاتل في ثمان منهن ، وعن زيد بن أرقم قال : غزا رسول الله ﷺ تسع عشرة غزوة كنت معه في سبع عشرة ، وأما محمد بن إسحاق فقال : كانت غزواته التي خرج فيها بنفسه سبعاً وعشرين ، وكانت بعوثه وسراياه ثمانياً وثلاثين ، وزاد ابن هشام في البعوث على ابن إسحاق ، والله أعلم] .

ثم عقد الإمام بن كثير رحمه الله تعالى هذا الفصل في ذكر غزوات النبي عليه الصلاة والسلام ، والمراد بالغزوات : أي التي غزاها وشارك فيها عليه الصلاة والسلام ؛ سواءً كانت المشاركة بمباشرة القتال ، أو حضوراً بصحبة المقاتلين ومرافقتهم إلى مكان القتال ، وكان مرّ معنا أن النبي عليه الصلاة والسلام بعث بعوثاً كثيرة وسرايا عديدة، ومن أهل العلم من كان يفرّق بين ما كان قد شارك فيه عليه الصلاة والسلام بنفسه ذاهباً أو مقاتلاً بتسميته غزوة، وما لم يشارك فيه وإنما أرسل فيه من يرسل من أصحابه بتسميته بعثاً أو سرية .

قال : ((فروى مسلم من حديث عبد الله ابن بريدة ابن الحصيب الأسلمي عن أبيه قال : «غَزَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تِسْعَ عَشْرَةَ غَزْوَةً، قَاتَلَ فِي ثَمَانٍ مِنْهُنَّ»)) ؛ أي شارك ﷺ بنفسه في تسع عشرة غزوة حضوراً ، وثمان منهن قام فيها بنفسه ﷺ يقاتل أعداء الله . وهذه الثمان هي : بدر ، وأحد ، والأحزاب ، وغزوة بني المصطلق ، وخيبر ، ومكة ، وحنين ، والطائف . ومن أهل العلم من يجعل حنين والطائف غزوة واحدة ويضيف بعد الأحزاب غزوة بني قريظة ، ومنهم من يجعل غزوة بني قريظة هي والأحزاب واحدة والطائف وحنين غزوتين .

قال : ((وعن زيد بن أرقم قال : غزا رسول الله ﷺ تسع عشرة غزوة كنت معه في سبع عشرة)) ؛ قوله غزا : مراده الغزوات التي خرج فيها عليه الصلاة والسلام بنفسه سواءً قاتل أو لم يقاتل ، كما يوضح ذلك الحديث الذي قبله حديث بريدة ابن الحصيب الأسلمي رضي الله عنه .

وروى أبو يعلى عن جابر بإسنادٍ صحيح صححه الحافظ ابن حجر في فتح الباري : أن عدد غزوات النبي ﷺ إحدى وعشرون ، ولا إشكال في هذا الحديث مع حديث بريدة وحديث زيد لأن بعض أهل العلم في الجمع قد يجعل الغزوتين المتصلتين غزوة واحدة ، فإذا فُرق المتصل أصبح العدد بما ذكر جابر أربعة وعشرين ، وإذا جُمع بين المتصل أصبح العدد مثل ما جاء في حديث بريدة وحديث زيد ابن أرقم .

قال : ((وأما محمد ابن إسحاق فقال : كانت غزواته التي خرج فيها بنفسه سبعاً وعشرين)) ؛ وهذا هو قول ابن سعد في الطبقات وتبع ابن سعد في ذلك الواقدي ، ومثل ما ذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى في هذا العد نوع من التوسع ، وأيضا يمكن أن يُخرَج على ما دُكر سابقاً أن بعض الغزوات المتصلة ببعضها قد يكون توسع في عدّها غزوات منفصلة فوصل العدد إلى هذا .

((وكانت بعوته وسراياه ثمانياً وثلاثين ، وزاد ابن هشام في البعوث على ابن إسحاق والله أعلم)) ؛ وأيضاً العدد في البعوث والسرايا محل خلاف بين أهل العلم في ذكر العدد .
قال رحمه الله تعالى :

[فصل في أعلام نبوته ﷺ على سبيل الإجمال ، لأن تفصيله يحتاج إلى مجلدات عديدة ، وقد جمع الأئمة في ذلك ما زاد على ألف معجزة ؛ فمن أبحرهما وأعظمها القرآن العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، وإعجازه من جهة لفظه ومعناه ؛ أما لفظه ففي أعلى غايات فصاحة الكلام ، وكل من ازدادت معرفته بهذا الشأن ازداد للقرآن تعظيماً في هذا الباب ، وقد تحدى الفصحاء والبلغاء في زمانه مع شدة عداوتهم له وحرصهم على تكذيبه بأن يأتوا بمثله أو بعشر سور من مثله أو بسورة فعجزوا ، وأخبرهم أنهم لا يطيقون ذلك أبداً ، بل قد تحدى الجن والإنس قاطبة على أن يأتوا بمثله فعجزوا ، وأخبرهم بذلك فقال الله تعالى : { قُلْ لئن اجتمعت قاطبة على أن يأتوا بمثله فعجزوا ، وأخبرهم بذلك فقال الله تعالى : { قُلْ لئن اجتمعت

الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً
{ [الإسراء: ٨٨] إلى غير ذلك من الوجوه المثبتة لإعجازه . وأما معناه فإنه في غاية التعاضد
والحكمة والرحمة والمصلحة والعاقبة الحميدة والاتفاق وتحصيل أعلى المقاصد وتبطيل
المفاسد إلى غير ذلك مما يظهر لمن له لب وعقل صحيح خالٍ من الشُّبه والأهواء نعوذ
بالله منها ونسأل الله الهدى] .

قال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى : ((فصلٌ في أعلام نبوته ﷺ على سبيل الإجمال ،
لأن تفصيله يحتاج إلى مجلدات عديدة ، وقد جمع الأئمة في ذلك ما زاد على ألف
معجزة)) ؛ هذا فصلٌ عقده رحمه الله تعالى لذكر معجزات النبي عليه الصلاة والسلام
وآيات نبوته ﷺ ، وأشار رحمه الله تعالى إلى أن هذا فصلٌ يطول استقصاءه لأن الكلام فيه
واسع ، وباب عدّ آيات النبوة وما يتبعها أيضاً من كرامات للأولياء - وكل كرامة لولي بحق
من أولياء الله فهي آية من آيات النبوة - مثل ما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية كعد المطر ،
إشارة إلى كثرة ذلك ، فهي تأتي إما للحجة : أي للتأييد وإقامة البرهان على صدق الرسول
عليه الصلاة والسلام وصدق ما جاء به . أو للحاجة ؛ وهذا مرّ معنا نظائره وسيأتي أيضاً
نظائر كثيرة يسوقها ابن كثير مثل : تكثير الطعام أو نزول المطر أو نحو ذلك مما يسره الله ﷻ
لحاجة إليه اقتضت ذلك ، فيمدّهم الله ﷻ بهذه المعجزة لتسدّ حاجةً عرضت في مقام ما .
فالشاهد أن المعجزات وآيات النبوة كثيرة جداً وشرحها وبسطها يطول لكنه أراد رحمه الله
تعالى أن يجتزئ بذكر بعض من آيات نبوة النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه ، وبدأ
بأعظم الآيات وأكبرها والحجة الباقية وهي كتاب الله ﷻ .

قال : ((فمن أجمهرها وأعظمها القرآن العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من
خلفه تنزيل من حكيم حميد ، وإعجازه من جهة لفظه ومعناه)) ؛ هذا الإعجاز الذي
يكون في القرآن يكون من جهتين: من جهة اللفظ ، ومن جهة المعنى . وبين رحمه الله
الإعجاز من جهة اللفظ : أن ألفاظ القرآن وكلماته وسوره وآياته مركبة من الحروف
والكلمات العربية ، ونزل القرآن في وقتٍ كان فيه أساطين الفصحاء والبلغاء والشعراء وكانت
تُعقد أندية عريقة وعميقة في اللسان العربي نثراً ونظماً وقوةً وجزالةً في الألفاظ ؛ فنزل هذا

القرآن معجزاً يتحدى أن يُؤتى بمثلهأو بسورة أو بآية حتى لو اجتمع الإنس والجن وكان بعضهم لبعض ظهيراً لأعيانهم وأعجزهم ذلك .

فهذا فيه تحدي وإظهار لمعجزة القرآن الكريم بأنه لا يستطيع أحد كائناً من كان لغةً وفصاحة وبراعة وقوة وجزالة في الألفاظ أن يأتي بمثل القرآن أو بمثل سورة أو بمثل آية واحدة من القرآن الكريم ، ومن حاول أن يأتي بمحاكاة للقرآن أو بشيء مماثل القرآن فإنه سيصل إلى إحدى نتيجتين لا يخرج عن أحدهما :

- إما أنه على إثر المحاولة سيعلم عجزه وعدم قدرته وأن محاولته باءت تماماً بالفشل .
- أو أنه سيأتي بكلام سمج سقيم سخيف ساقط يُضحك عليه السفهاء قبل العقلاء ، والمجانين قبل العقلاء.

والنتيجة الأولى يمكن أن نمثل لها بقصة الفيلسوف الكندي ، كان بارعاً في الفلسفة وصَفَ الكلام ونظم العبارات وتزويق الأحرف ، فطلبوا منه أن يحاكي القرآن أو بعض آيات القرآن ، فماذا كانت النتيجة؟! جاء في تفسير الشوكاني - وهو أيضاً موجود في مصادر قبل ذلك - قال رحمه الله : " هذه الآية التي افتتح بها الله هذه السورة إلى قوله { إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ } فيها من البلاغة ما تتقاصر عنده القوى البشرية مع شمولها لأحكامٍ عديدة ؛ منها الوفاء بالعقود ، ومنها تحليل بهيمة الأنعام ، ومنها استثناء ما سيتلى مما لم يُحل ، ومنها تحريم الصيد على المحرم ، ومنها إباحة الصيد لمن ليس بمحرم ، وقد حكى النقَّاش أن أصحاب الفيلسوف الكندي قالوا له : أيها الحكيم اعمل لنا مثل هذا القرآن ، فقال : نعم أعمل مثل بعضه ، فاحتجب أياماً كثيرة ثم خرج فقال : والله ما أقدر ولا يطيق هذا أحد ، إني فتحت المصحف فخرجت سورة المائدة فنظرتُ فإذا هو قد نطق بالوفاء ونهى عن النكث وحلَّ تحليلاً عاماً ، ثم استثنى بعد استثناء ، ثم أخبر عن قدرته وحكمته في سطرين ولا يقدر أحدٌ أن يأتي بهذا " . أول ما فتح المصحف ليحاكي القرآن بناء على طلب تلاميذه وأصحابه صادفه أول آية في سورة المائدة وأخذ يتأمل هذه الآية وما اشتملت عليه من أمور عديدة ثم أعلن عجزه وأن أحداً لا يستطيع مهماً بلغ فصاحةً وعلماً وذكاءً وفطنة أن يحاكي القرآن أو أن يأتي بمثله .

مثال الآخر - وهو من يحاول فعلاً ويأتي بكلام يزعم أنه يحاكي القرآن فيكون كلامه سخافات وكلام ساقط وهراء سمج - فهذا مثاله مسيلمة الكذاب ، جاء في تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسير سورة البقرة قال: " وقد روينا عن عمرو بن العاص أنه وفد على مسيلمة الكذاب قبل أن يُسَلِّم، فقال له مسيلمة: ماذا أنزل على صاحبكم بمكة في هذا الحين؟ فقال له عمرو : لقد أنزل عليه سورة وجيزة بليغة فقال: وما هي؟ فقال: { وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ } ففكر ساعة ثم رفع رأسه فقال: ولقد أنزل عليّ مثلها، فقال: وما هو؟ فقال: يا وُبر يا وُبر، إنما أنت أذنان وصدر، وسائرُك حقر فقر ، ثم قال : كيف ترى يا عمرو؟ فقال له عمرو: والله إنك لتعلم أي لأعلم إنك تكذب " ؛ يعني ما يحتاج أصلاً أن تسألني هذا السؤال ، هذا كلام لا يحتاج إقامة البرهان على أنه كذب وهراء وكلام سخيف . ومسيلمة لما تجاسر هذا التجاسر أصبح اسمه لا يُذكر إلا مقروناً به هذا الوصف "الكذاب" إلى قيام الساعة ، ما يُقال مسيلمة وإنما يُقال مسيلمة الكذاب ، حتى لو ذُكر باسمه واسم والده لا يُعرف ، فإذا قيل مسيلمة الكذاب قال الناس عرفناه .

قال ابن كثير رحمه الله تعالى : ((وأما معناه)) يعني الإعجاز في معنى القرآن فهذا واضح في أن القرآن لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، كله متعاضد ومتشابه ، يؤيد بعضه بعضاً ويشهد بعضه لبعض ، ليس فيه آية تنقض آية أو تعارض آية ﴿ وَلَوْ كَانِ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢] إضافةً إلى اشتماله على تحصيل المصالح وإبطال المفاسد وغير ذلك من مقاصد القرآن العظيم وغاياته الجليلة الدالة على إعجازه معنى كما أنه معجزٌ لفظاً .

قال رحمه الله تعالى :

[ومن ذلك أنه نشأ بين قوم يعرفون نسبه ومرباه ومدخله ومخرجه ، يتيماً بين أظهرهم ، أميناً صادقاً ، باراً راشداً ، كلهم يعرف ذلك ولا ينكره إلا من عاند وسفسط وكابر . وكان أميناً لا يحسن الكتابة ولا يعانيتها ولا أهلها ، وليس في بلادهم من علم الأولين ولا من يعرف شيئاً من ذلك فجاءهم على رأس أربعين سنة من عمره يخبر بما مضى مفصلاً مبيناً ، يشهد له علماء الكتب المتقدمة البصرون بها المهتدون بالصدق، بل أكثر

الكتب المنزلة قبله قد دخلها التحريف والتبديل ، ويجيء ما أنزل الله عليه مبيناً لذلك مهيمناً عليه دالاً على الحق منه ، وهو مع ذلك في غاية الصدق والأمانة والسمت الذي لم ير أولو الأبواب مثله ﷺ ، والعبادة لله ، والخشوع له ، والذل ، والدعاء إليه ، والصبر على أذى من خالفه واحتماله ، وزهده في الدنيا ، وأخلاقه السنية الشريفة من الكرم والشجاعة والحياء والبر والصلة ﷺ ، إلى غير ذلك من الأخلاق التي لم تجتمع في بشر قبله ولا بعده إلا فيه ، فبالعقل يدرك أن هذا يستحيل أن يكذب على أدنى مخلوق بأدنى كذبة ، فكيف يمكن أن يكون مثل هذا قد كذب على الله رب العالمين ، الذي قد أخبر هو بما لديه من أليم العقاب وما لمن كذب عليه وافترى؟! هذا لا يصدر إلا من شر عباد الله وأجرئهم وأخبثهم ، ومثل هذا لا يخفى أمره على الصبيان في المكاتب ، فكيف بأولي الأحلام والنهي الذين بذلوا أنفسهم وأموالهم وفارقوا أولادهم وأوطانهم وعشائرهم في حبه وطاعته؟ رضي الله عنهم، وصلى الله وسلم عليه ما تعاقب الليل والنهار].

قال رحمه الله تعالى : ((ومن ذلك)) ؛ أي من أعلام النبوة وبراهين صدقه عليه الصلاة والسلام النظر في سيرته ﷺ ونشأته وكيف أنه عليه الصلاة والسلام نشأ لم يتعلم الكتابة وفي أناس أميين ، ونشأ بين أناس يعرفون مرباه ويعرفون نشأته ويعرفون حاله وأيضاً يعرفون صدقه ووفاءه وأمانته وأنه لا يُعرف عنه أخلاق ذميمة ككذبٍ أو عدم وفاءٍ أو خيانةٍ أو غير ذلك ثم يفاجئ الناس في تمام الأربعين من عمره يأتيهم بهذه الأخبار العظيمة والأنباء العجيبة وذكر سير الأولين وأخبار اللاحقين وأمورٍ مغيباتٍ وأمورٍ تتعلق برب الأرض والسموات ﷻ وآيات معجزات ، فالنظر في سيرة النبي عليه الصلاة والسلام وما نشأ عليه هو بحد ذاته دليل وبرهان على صدقه ﷺ ، ولهذا أشار ابن كثير رحمه الله تعالى أنه عليه الصلاة والسلام عهد عنه الصدق والأمانة والسمت الحسن والاحتمال والزهد والأخلاق السنية والشجاعة والحياء والبر والصلة إلى غير ذلك من الأخلاق التي كانت معروفة عنه وشاع في الناس الحديث بها عنه ، ثم يفاجئهم على رأس الأربعين من عمره بهذه الإخبارات والأنباء التي يأتي بها نبأ تلو نبأ وخيراً تلو خير ، ويعرفون أيضاً أنه ﷺ كان أمياً لا يُحسن الكتابة ولا يعانيتها ولا أهلها ،

وليس في بلادهم من علم الأولين ولا من يعرف شيئاً من ذلك ثم يأتي بمثل هذه الأمور !!
فهذا بحد ذاته برهان صادق على صدقه عليه الصلاة والسلام وصدق ما جاء به .
قال : ((فبالعقل يدرك أن هذا يستحيل)) ؛ يعني من كان بهذا الشأن وبهذا الوصف
وبهذه الحال ((يستحيل أن يكذب على أدنى مخلوق بأدنى كذبة ، فكيف يمكن أن يكون
مثل هذا قد كذب على الله)) وقال أوحى إليّ ولم يوحى إليه وأرسلني الله ولم يرسله ، بعثني
بكذا وأمرني بكذا !! وهو لم يُحفظ عنه منذ نشأ كذبة واحدة على إنسان ثم يكذب في سن
الأربعين على ربّ العالمين بأعظم ما يكون !! فالنظر إلى سيرته فقط هذا من البراهين
والدلائل على صدقه عليه الصلاة والسلام ، أضف إلى ذلك أن في الوحي نفسه الذي جاء
به عن ربّ العالمين الوعيد الشديد لمن يكذب على الله .

قال ابن كثير رحمه الله : ((فكيف يمكن أن يكون مثل هذا قد كذب على الله ربّ
العالمين الذي قد أخبر هو بما لديه من أليم العقاب ، وما لمن كذب عليه وافترى ؟!)) ؛
فيه آيات كثيرة جداً : ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا
مِنْهُ الْوَتِينَ (٤٦) فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴾ [الحاقة: ٤٤-٤٧] ، ﴿ أَمْ يَقُولُونَ
افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَأِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ ﴾
[الشورى: ٢٤] ، فجاء عليه الصلاة والسلام أيضاً بآيات كثيرة فيها الوعيد لمن يكذب على الله
ويفتري على الله ويقول أوحى إليّ ولم يوحى إليه بشيء ؛ هذا كله ذكره عليه صلوات الله
وسلامه عليه عن ربّ العالمين ؛ فمحال أن يكون شخص بهذا الوصف وبهذه المكانة السامية
في أخلاقه وآدابه وسلوكه وهديه وسمته وتعامله ولم يُعهد عنه إطلاقاً في حياته كذبة واحدة
على إنسان أن يأتي في سن الأربعين ويكذب على ربّ العالمين ويفتري عليه ويقول أنه مُرسل
من ربّ العالمين ، ثم ينقل أيضاً عن ربّ العالمين ﷺ آيات كثيرة في الوعيد الشديد والتهديد
العظيم لمن كذب على الله وافترى عليه ﷺ الكذب ؛ فهذا من البراهين الواضحات والدلائل
البيّنات على نبوته ﷺ .

قال : ((ومثل هذا لا يخفى أمره على الصبيان في المكاتب ، فكيف بأولي الأحلام
والنهي الذين بذلوا أنفسهم وأموالهم وفارقوا أولادهم وأوطانهم وعشائرتهم في حبه وطاعته

؟ رضي الله عنهم ، وصلى الله وسلم عليه ما تعاقب الليل والنهار)) ؛ يشير إلى الصحابة الكرام ﷺ الذين أكرمهم الله ﷻ بتصديقه واتباعه ، يقول هذه أمور لا تخفى عليهم ، عرفوا صدق هذا الرسول عليه الصلاة والسلام من أمور كثيرة وبراهين عديدة منها هذا الذي حكاه المؤلف رحمه الله تعالى .

قال رحمه الله تعالى :

[ومن ذلك ما أخبر ﷺ به في هذا القرآن ، وفيما صح عنه من الأحاديث من الغيوب المستقبلية المطابقة لخبره حدو القذة بالقذة مما يطول استقصاؤه ها هنا] .

قال رحمه الله تعالى : ((ومن ذلك)) يعني من أعلام النبوة .

((ما أخبر به ﷺ في هذا القرآن ، وفيما صح عنه من الأحاديث من الغيوب المستقبلية المطابقة لخبره حدو القذة بالقذة)) ؛ القذة : ريشة السهم ، وهذا مثل يُضرب للشيعين المتساويين اللذين لا يُفَرِّق بينهما ، فأخبر عليه الصلاة والسلام بأمور مستقبلية منها أشياء في حياته ؛ مر معنا في هذا القبيل أمثلة كثيرة جداً يُخبر عن أشياء تقع غداً أو بعد غدٍ أو في عام قابل أو نحو ذلك فتقع طبقاً لما أخبر صلوات الله وسلامه عليه . مرّ معنا في الغزوات أحاديث عديدة مثل قوله في قصة غزوة خيبر ((لأعطين الراية غداً رجل يفتح الله على يديه)) ، ولما أقبل على خيبر قال : ((خربت خيبر)) ؛ وهذا الذي أخبر عنه وقع كما أخبر صلوات الله وسلامه عليه .

وكان أيضاً يُخبر عن علوم الأولين من أخبار الأنبياء والمرسلين والأمم المكذبة لهم وتفصيل تلك الأحداث التي وقعت إخبار المشاهد المعايين ، وهو عليه الصلاة والسلام لم يشهد ذلك ولم يعاينه ؛ فهذا أيضاً من أعلام نبوة النبي الكريم عليه الصلاة والسلام ، وكما أشار الإمام بن كثير رحمه الله تعالى بسط هذا واستقصاؤه يطول .

قال رحمه الله تعالى :

[ومن ذلك ما أظهر الله تعالى على يديه من خوارق العادات الباهرة ، فمن ذلك : ما أخبر الله ﷻ عنه في كتابه العزيز من انشقاق القمر ، وذلك أنّ المشركين سألوه آية وكان

ذلك ليلاً فأشار إلى القمر فصار فرقتين ، فسألوا من حولهم من الأحياء لئلا يكون قد سحرهم فأخبروهم بمثل ما رأوا ، وهذا متواتر عنه عند أهل العلم بالأخبار ، وقد رواه غير واحد من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين [.

قال رحمه الله : ((ومن ذلك)) يعني من أعلام النبوة .

((ما أظهر الله تعالى على يديه من خوارق العادات الباهرة)) ؛ وتسمى هذه آيات النبوة ، المتقدمون من أهل العلم كانوا يعبرون عنها بالآية ، وكثر في اصطلاح المتأخرين التعبير عنها بالمعجزة . والمراد بالآية والمعجزة : أي العلم والبرهان والأمر الخارق للعادة . وما وقع له عليه الصلاة والسلام من الآيات والمعجزات أضعاف وأكثر مما وقع للأنبياء قبله صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين . فالشاهد أن هذا أيضاً من أعلام النبوة وهو باب واسع جداً . ثم أخذ يذكر الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى بعض الأمثلة والنماذج لآيات النبوة والمعجزات قال : ((فمن ذلك ما أخبر الله ﷻ عنه في كتابه العزيز من انشقاق القمر ، وذلك أن المشركين سألوه آية - وهذا كان قبل الهجرة - وكان ذلك ليلاً ، فأشار إلى القمر فصار فرقتين)) ؛ قال تعالى : ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ [القمر: ١] فهذه آية عجيبة ، طلب منه المشركون آيةً تدل على صدقه ومعجزة وأمرًا خارقاً للعادة وكانوا في الليل حينما طلبوا منه هذا الطلب ، فأشار عليه الصلاة والسلام بيده إلى القمر فانفلق القمر فرقتين - يعني انقسم قسمين - وكانتا متباعدين حتى إن جبل حراء رُئي بينهما . ولما رأوا هذه الآية لزالوا على عنادهم وقالوا : سحرهم ، أسألوا الناس على الذين في الأماكن الأخرى البعيدة ، إن سحرهم لا يستطيع أن يسحر كل الناس ، فاسألوا من يأتي هل رأوا مثل ما رأينا ؟ إن كانوا رأوا مثل ما رأينا يكون صادق ، وإن كانوا لم يروا شيئاً يكون سحرهم .

قال ابن كثير رحمه الله : ((فسألوا من حولهم من الأحياء لئلا يكون قد سحرهم فأخبروهم بمثل ما رأوا)) ؛ فلما أخذت الوفود تأتي من الأنحاء ، كل من جاءهم سألوهم فقالوا : رأينا مثل ما رأيتم ، رأوا القمر فرقتين .

قال : ((وهذا متواتر عنه عند أهل العلم بالأخبار ، وقد رواه غير واحد من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين)) والحافظ ابن كثير رحمه الله ساق عند تفسيره لقوله تعالى ﴿ اقْتَرَبَتِ

السَّاعَةَ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرَ ﴿١﴾ من سورة القمر روايات الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم لخبر انشقاق القمر .

قال رحمه الله :

[ومن ذلك ما ظهر ببركة دعائه في أماكن يطول بسطها وتضييق مجلدات عديدة عن حصرها ، وقد جمع الحافظ أبو بكر البيهقي رحمه الله تعالى كتاباً شافياً في ذلك مقتدياً بمن تقدّمه في ذلك كما اقتدى به كثيرٌ ممن بعده رحمه الله تعالى ، فمن ذلك : أنه ﷺ دعا الله تعالى في السخلة التي كانت مع ابن مسعود في الرعي وسمى الله وحلبها فدرّت عليه فشرّب وسقى أبا بكر ، وكذلك فعل في شاة أم معبد . ودعا للطفيل بن عمرو فصارت آية في طرف سوطه نور يلمع يرى من بُعد ، وكذلك حصل لأسيد بن الحضير وعبد بن بشر الأنصاريين وقد خرجا من عنده في ليلة ظلماء . ودعا الله على السبعة الذي سخروا منه وهو يصلي فقتلوا ببدر ، ودعا على ابن أبي لهب فسلط الله عليه السبع بالشام وفق دعائه ﷺ . ودعا على سراقه فساخت يدا فرسه في الأرض ثم دعا الله فأطلقنا] .

قال رحمه الله تعالى : ((ومن ذلك)) يعني من أعلام النبوة .

((ما ظهر ببركة دعائه في أماكن يطول بسطها وتضييق مجلدات عديدة عن حصرها)) ؛ يكون النبي عليه الصلاة والسلام دعا فأجاب الله ﷻ دعائه ، إما يكون دعا لأشخاص أو دعا على أشخاص ، ممّا يأتي ذكر بعض تفاصيل ذلك عند المصنف رحمه الله تعالى .

قال : ((وقد جمع الحافظ أبو بكر البيهقي رحمه الله تعالى كتاباً شافياً في ذلك مقتدياً بمن تقدّمه في ذلك كما اقتدى به كثيرٌ ممن بعده رحمه الله تعالى)) . وقد أُلّف في دلائل النبوة كتب كثيرة متقدمة ومُتأخّرة ، مثل : كتاب دلائل النبوة لأبي نُعيم ، ودلائل النبوة لقوام السنة التيمي ، ودلائل النبوة لأبي بكر الفريابي ، ودلائل النبوة للبيهقي أشار إليه المصنف ، في غيرها كثير لأهل العلم أُلّف في هذا الباب العظيم باب دلائل النبوة .

قال : ((فمن ذلك أنه ﷺ دعا الله تعالى في السخلة التي كانت مع ابن مسعود في الرعي وسمى الله وحلبها فدرت عليه فشرب وسقى أبا بكر)) ؛ والحديث موجود في المسند ومعجم الطبرني الكبير بإسناد حسنه بعض أهل العلم ، وكان ابن مسعود ﷺ في مكة يرعى غنما لعقبة بن أبي معيط ومرّ به النبي ﷺ ومعه أبو بكر ﷺ فقال : عندك حليب ؟ قال : عندي حليب ولكنني مؤتمن على هذه الأغنام ، فدعا عليه الصلاة والسلام سخلة لم ينزوا عليها الفحل يعني ليس فيها حليب ولا يُطلب منها حليب - ليست ممّا إذا رجعت إلى صاحبها حلبها - فاستأذن عليه الصلاة والسلام ابن مسعود أن يحلب هذه السخلة التي ليس فيها حليب أصلاً ، فأذن له فمسح ودعا عليه الصلاة والسلام وحلبها وشرب منها أبو بكر ﷺ .

قال : ((وكذلك فعل في شاة أم معبد)) ؛ أم معبد مرّ بها عليه الصلاة والسلام في طريق الهجرة والحديث في معجم الطبراني ومستدرک الحاكم وغيرها وأيضاً حسن إسناده بعض أهل العلم ، وأيضاً كانت الغنم ليست موجودة عندها في الخيمة ذهب بها أبو معبد يرعاها ، وكان في الخيمة عندها معزة هزيلة جداً وانقطعت وليس فيها حليب أجلستها في الخيمة تراعيها ، فاستأذنها عليه الصلاة والسلام أن يحلبها ، فأذنت له فدعا ومسح ضرعها ودعا بالبركة فحلب وشرب وملئوا الأوعية ببركة دعائه صلوات الله وسلامه عليه .

قال : ((ودعا للطفيل ابن عمرو الدوسي ﷺ فصارت آية في طرف سوطه نور يلمع يرى من بُعد)) ؛ وقصة الطفيل هذه مرت معنا عند المؤلف ، وأشرت أن سند هذه القصة فيه كلام .

قال : ((وكذلك حصل لأسيد ابن الحضير وعباد ابن بشر الأنصاريين وقد خرجا من عنده في ليلة ظلماء)) ؛ كانا عند النبي عليه الصلاة والسلام في مجلس ولما خرجا منه في ليلة مظلمة أضاء لهم الطريق ، فكانوا يمشون في طريق مُضيء ، فلما افترقا كل إلى بيته أيضاً افترق الضياء معهما إلى أن وصل كل منهما إلى بيته . والحديث في صحيح البخاري عن أنس ابن مالك ﷺ .

قال : ((ودعا الله على السبعة الذي سخروا منه وهو يصلي فقتلوا بدير)) والحديث في الصحيحين . وجاء في الحديث ذكر السبعة وهم : أبو جهل ، وعتبة ابن ربيعة ، وشيبة ابن

ربيعة ، والوليد ابن عتبة ، وأمّية ابن خلف ، وعقبة بن أبي معيط ، ولم يُحفظ السابع من هؤلاء . وجميع هؤلاء السبعة الذين سماهم النبي ﷺ بأسمائهم ودعا عليهم تساقطت رؤوسهم في غزوة بدر وهي الغزوة التي تساقطت فيها عدد من رؤوس كبار المشركين وأعيانهم .

قال : ((ودعا على ابن أبي لهب ، فسَلَطَ اللهُ عليه السَّبُعَ بالشام وفق دعائه ﷺ)) ؛ ابن أبي لهب : عتبة ابن أبي لهب وكانت تحته أم كلثوم بنت النبي عليه الصلاة والسلام فأراد أن يخرج عتبة في تجارة إلى الشام فجاء إلى النبي عليه الصلاة والسلام وقال له : إني طلقت ابنتك ولم أرض دينك ولم أقبل دينك أو كلاما هذا معناه ، ومسك قميص النبي ﷺ وقطعه وخرج في تجارته إلى الشام ، فلَمَّا فعل ذلك دعا عليه الصلاة والسلام قال : ((اللهم سلط عليه كلباً أو سبعاً)) ، وسمع دعوة النبي عليه الصلاة والسلام بذلك ولما وصل إلى الشام وصلوا إلى منطقة احتاجوا إلى المبيت فيها ورأوا فيها أسد في المنطقة ، فدخله خوف أن تكون هذه الدعوة أصابته ، ولما أرادوا المبيت تلك الليلة كان خائفاً وفي ذهنه تلك الدعوة التي دعا بها عليه صلوات الله وسلامه عليه . ثم كانوا جماعة كثيرين لما باتوا ومن شدة خوفه اختار وسط الجماعة وتوسطهم ونام في وسطهم ، فجاء هذا الأسد بعدما ناموا جميعاً وتخطاهم جميعاً إلى أن وصل إلى عتبة هذا وقضم رأسه ومات في مكانه ؛ استجابة لدعوة النبي ﷺ عليه . والقصة رواها الطبراني في معجمه الكبير وحسنها بعض أهل العلم بما لها من طُرُق .

قال : ((ودعا على سراقه)) ؛ سراقه عرفنا قصته فيما سبق : لما هاجر النبي ﷺ جعلت قريش لمن يأتي بمحمد ﷺ حياً أو ميتاً مائة ناقة ، فطمع سراقه في ذلك فانطلق في إثر النبي عليه الصلاة والسلام فلما اقترب منه ساخت يدا فرسه في الأرض ، فطلب من النبي عليه الصلاة والسلام أن يدعوه له ولا يتعرض له إطلاقاً بأي أذى فدعا له عليه الصلاة والسلام فأُطلقتا ، والحديث في الصحيحين عن أبي بكر رضي الله عنه .

قال رحمه الله :

[ورمى كفار قريش في بدر بقبضةٍ من حصباء فأصاب كلاً منهم شيء منها وهزمهم الله . وكذلك فعل يوم حنين سواء . وأعطى يوم بدر لعكاشة بن محصن جزلاً من حطب .

فصار في يده سيفاً ماضياً ، وأخبر عمه العباس . وهو أسير . بما دُفن هو وأم الفضل من المال تحت عتبة باهم ، فأقر له بذلك ، وأخبر عمير بن وهب بما جاء له من قتله معتذراً بأنه جاء في فداء أسارى بدر فاعترف له بذلك وأسلم من وقته ﷺ . وردّ يوم أحد عين قتادة بن النعمان الظفري بعد أن سألت على خده . وقيل : بعدما صارت في يده ، فصارت أحسن عينيه فلم تكن تُعرف من الأخرى] .

قال رحمه الله تعالى : ((ورمى كفار قريش يوم بدر بقبضة من حصباء فأصاب كلاً منهم منها شيء وهزمهم الله . وكذلك فعل يوم حنين سواء)) ؛ مثل ذلك ، أي أنّ رمي الحصباء حصل في غزوة بدر وغزوة حنين ؛ أخذ عليه الصلاة والسلام الحصباء ورمها فأصاب جميع المشركين .

رمي الحصباء الذي في غزوة بدر رواه الطبراني والبيهقي في الدلائل من حديث حكيم بن حزام ﷺ بإسناد حسن .

وحكيم بن حزام في غزوة بدر كان في صف المشركين ، وعرفنا أنه أسلم يوم الفتح وكان يوم أسلم عمره ستون سنة وأمده الله ﷺ بعدها بستين سنة فعاش ستين في الجاهلية وستين في الإسلام . فيوم بدر كان في صف المشركين ويكون ممن أصابه هذا الحصى الذي رماه النبي ﷺ فهو يروي شيئاً عاينه ، وكان لما من الله ﷺ عليه بالإسلام إذا حلف بالله يذكر نعمة الله عليه بالنجاة يوم بدر فيقول في يمينه : " والذي نجاني يوم بدر " .

ورمي الحصباء الذي في يوم حنين رواه مسلم في صحيحة من حديث العباس وحديث سلمة ابن الأكوع

قال : ((وأعطى يوم بدر لعكاشة بن محصن ﷺ جذلاً - أو جذلاً - من حطب)) ؛ جذل الحطب : أصل الحطب ، والحطب معروف .

((فصار في يده سيفاً ماضياً)) ؛ وبقي معه يقاتل به في جميع الغزوات إلى أن استشهد في حروب الردة ﷺ ، وهذا الخبر رواه ابن إسحاق بدون إسناد ، ورواه البيهقي بإسناد مرسل ضعيف .

((وأخبر عمه العباس وهو أسير بما دفن هو وأم الفضل من المال تحت عتبة باهم فأقر له بذلك)) ؛ لما أراد العباس أن يخرج في غزوة بدر جمع مالا له ودفنه تحت عتبة الباب وزوجته أم الفضل حاضرة وأوصاها بهذا المال أين تضعه ، ولم يكن يطلع على هذا أحد إلا هو وزوجته أم الفضل ، فلما كان من ضمن أسارى بدر وطلب منه النبي عليه الصلاة والسلام أن يفدي نفسه بالمال قال : ليس لي مال . فقال له عليه الصلاة والسلام : والمال الذي دفنته أمام زوجتك عند عتبة الباب!! . فهذا الإخبار أيضاً هو من أعلام النبوة ، فقال : هذا أمر لم يطلع عليه إلا أنا وأم الفضل . لكن الله ﷻ أعلم نبيه ﷺ بذلك . وخبر العباس هذا رواه أحمد في مسنده والبيهقي في الدلائل وهو حسن بشواهده .

قال : ((وأخبر عمير بن وهب بما جاء له من قتله معتذراً بأنه جاء في فداء أسارى بدر فاعترف له بذلك وأسلم من وقته)) ؛ وقصته سبق ذكرها في نهاية فتح مكة عند قول المصنف : ((وكذا صفوان ابن أمية كان قد فرَّ إلى اليمن فتبعه صاحبه في الجاهلية عمير ابن وهب الجمحي بأمان رسول الله فردّه)) ، وذكرتُ هناك قصة عمير ابن وهب الجمحي أنه كان قد اتفق هو وصفوان ابن أمية أن يقوم عمير بقتل الرسول عليه الصلاة والسلام وأن يتعلل بأنه يُطالب بفدية أو نحو ذلك . وقال له صفوان : أنا أتكفل لك بأولادك وأهلك مثل ما أتكفل لأولادي وأهلي ، وجاء إلى النبي عليه الصلاة والسلام وكان يحمل السيف ورآه عمر ﷺ وطلب من الصحابة أن يكونوا حول الرسول ﷺ ، فلما دخل على النبي ﷺ قال له : لم جئت ؟ فتعلل بأنه جاء للأسارى والفدية ونحو ذلك . فقال له عليه الصلاة والسلام : لم تأتٍ لشيءٍ آخر ؟ قال : لا ، قال : وما هذا السيف ؟ تعلل أيضاً بكلام آخر فقال له ﷺ : جئت على شيء اتفقت عليه أنت وصفوان ابن أمية ؛ فأخبره بالذي دار بينه وبين صفوان ابن أمية فأقر وأسلم من لحظته ورجع إلى مكة يُعلن إسلامه ويدعو إلى الإسلام وقامت بينه وبين صفوان وغيره من المشركين عداوات وخصومات على إثر إسلامه ﷺ .

وخبره رواه ابن إسحاق ومن طريقه ابن نعيم في الدلائل وهو حسن بطرقه وشواهده . قال : ((وردَّ يوم أحد عين قتادة بن النعمان ﷺ بعد أن سألت على خده)) ؛ في معركة أحد أصيب قتادة ﷺ فخرجت عينه من مكانها وتدلَّت على خده ، فردها عليه الصلاة والسلام إلى مكانها .

((فصارت أحسن عينية ولم تكن تعرف من الأخرى)) ؛ بمعنى أنها أعيدت إلى مكانها تماماً ، بحيث لا يُلاحظ أنها كانت قد خرجت من موضعها ، والخبر وتخرجه مرّ معنا .

قال رحمه الله :

[وأطعم يوم الخندق الجم الغفير الذين يقاربون ألفاً من سخلة وصاع شعير بيت جابر . كما أطعم يومئذ من نزر يسير من تمر جاءت به ابنة بشير . وكذلك أطعم نحو الثمانين من طعامٍ كادت تواريه يده المكرمة . وكذلك فعل يوم أصبح عروساً بزینب بنت جحش . وأما يوم تبوك فكان أمراً هائلاً ، أطعم الجيش وملئوا كل وعاء معهم من قدر ربيعة العنز طعاماً . وأعطى أبا هريرة رضي الله عنه مزوداً فأكل منه دهره وجَهَّز منه في سبيل الله شيئاً كثيراً ولم يزل معه إلى أيام مقتل عثمان . وأشياء أخرى من هذا النمط يطول ذكرها مجردة ، وسنفرد لذلك - إن شاء الله تعالى وبه الثقة - مصنفاً على حدة] .

ثم قال رحمه الله تعالى : ((وأطعم يوم الخندق الجم الغفير الذين يقاربون ألفاً)) ؛ وجاء في رواية في صحيح البخاري التصريح بأنَّ الذين جاؤوا إلى بيت جابر ابن عبد الله رضي الله عنهما ألف .

((من سخلة وصاع شعير بيت جابر)) ؛ ، والقصة سبق إيرادها وهي في الصحيحين من حديث جابر ، ولما ذبح السخلة وكان صاع من شعير جاء للنبي عليه الصلاة والسلام وقال : يا رسول الله طُعِمَ بالتصغير ، يعني طعام قليل جداً فتأتي أنت وواحد أو اثنين من أصحابك ، فقال عليه الصلاة والسلام للمهاجرين والأنصار هلموا، يدعوهم إلى بيت جابر ، فجاء إلى بيت جابر والطعام سخلة صغيرة جداً وصاع واحد من شعير وجاء إلى البيت ألف واحد يشهدون هذا الطعام ، وأصبح جابر في همّ عظيم ، وجاء لزوجته قال : جاءني النبي صلى الله عليه وسلم بالمهاجرين والأنصار ، فقالت له : هل سألك ؟ قال : نعم ، فلما عرفت أن النبي صلى الله عليه وسلم سأله عن الطعام اطمأنت . وقال لهم عليه الصلاة والسلام : ((ادخلوا ولا تضاغظوا لا تزاحموا)) ، يعني إشارة إلى أن الطعام يكفي الجميع ، ودخلوا أفواجاً حسب ما يسعهم البيت يأكل كل منهم حتى يشبع ويخرج ، ثم الدفعة الأخرى والثالثة ، حتى أكلوا جميعاً ثم

خرجوا ولا يزال الطعام باقي . فقال النبي ﷺ لجابر : ((كل أنت وأهلك وأهدوا)) . يعني لا يزال الطعام فيه بقية .

قال : ((كما أطعم يومئذ - يعني يوم الخندق - من نزر يسير من تمر)) ؛ حفنة من تمر العجوة بعثت بها زوجة بشير مع ابنتها وقالت اذهبي إلى والدك بشير أعطيه إياه ، فذهبت البنت إلى والدها معها قليل من التمر وفي طريقها رآها النبي ﷺ فقال لها : ماذا معك ؟ قالت : معي تمر من والدي لوالدي بشير . قال : أين هو ؟ فوضعت في كف النبي ﷺ فلم يملأ كفه عليه الصلاة والسلام ، فدعا بشيء ﷺ ووضع التمر عليه ودعا بالبركة وقال : ادعوا المهاجرين والأنصار ، وأخذوا كلهم يأكلون من هذا التمر الذي جاءت به هذه الصغيرة ولم يملأ كف النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه . والخبر رواه ابن إسحاق ومن طريقه البيهقي في الدلائل ، وقال ابن كثير رحمه الله في البداية : " وفيه انقطاع " .

((وكذلك أطعم نحو الثمانين من طعام كادت تواريه يده المكرمة)) والحديث بهذا في الصحيحين من حديث أنس بن مالك ﷺ .

قال : ((وكذلك فعل يوم أصبح عروساً بزینب بنت جحش)) وأيضاً الحديث بها في صحيح مسلم وفي البخاري تعليقا من حديث أنس ابن مالك ﷺ .

قال : ((وأما يوم تبوك فكان أمراً هائلاً أطعم الجيش وملئوا كل وعاء معهم من قدر روضة العنز طعاماً)) ؛ روضة العنز : أي المكان الذي تبرك فيه العنز ، دعا عليه الصلاة والسلام الجيش وكان عددهم ثلاثون ألفاً وقال : كل من عنده طعام يأتي به ، فكلُّ أخذ يبحث عن ما عنده من طعام إما تمر أو شعير الخ ووضعوه في مكان حُدِّد ، فكان الذي وُضع من الثلاثين ألف في هذا المكان ما يساوي قدر مبرك عنز ، كانوا في جماعة ليس عندهم طعام في عسرة وشدة عظيمة ، فدعا عليه الصلاة والسلام بالبركة فأكلوا من هذا الطعام حتى شبعوا وملئوا أوعيتهم . وهذا في الصحيحين عن سلمة ابن الأكوع .

((وأعطى أبا هريرة ﷺ مزوداً فأكل منه دهره وجهز منه في سبيل الله شيئاً كثيراً ولم يزل معه إلى أيام مقتل عثمان ﷺ)) ؛ والحديث بهذا رواه أحمد والترمذي والبيهقي في الدلائل عن أبي هريرة ﷺ .

قال ابن كثير : ((أشياء من هذا النمط كثيرة يطول ذكرها مجردة ، وسنفرد لذلك . إن شاء الله تعالى وبه الثقة . مصنفاً على حده)) ؛ فهو رحمه الله وعد ، واحتمال أنه لم يتيسر له ذلك ، أو أنه تيسر له ذلك ويكون مفقوداً لم يطلع عليه أثناء البحث ، لكنه في كتابه البداية والنهاية له كلام موسع في ذكر الأحاديث والروايات التي فيها هذه المعجزات والآيات وبعض الناشرين أفرده على حدة وطبعه على استقلال كالكتاب المفرد ، لكن الأصل مستلٌّ من كتابه رحمه الله البداية والنهاية .

والله تعالى أعلم وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .

..*